

مفهوم العدالة عند جون راولز، من العدالة المحلية إلى العدالة الكوسموبوليتية .

The definition of justice in the philosophy of John Rawls . From local justice to global justice

الاسم واللقب : مهيرة خديجة

مؤسسة الانتماء : جامعة الحاج لخضر باتنة -1-

مخبر حوار الحضارات والعولمة

البريد الإلكتروني: mehirakhadijd2020@gmail.com

ملخص :

يسعى هذا المقال إلى تسليط الضوء على نظرية العدالة عند جون راولز في بعدها المحلي والعالمي. فقد عمل على إعادة بعث الفلسفة السياسية في الفكر الانجلوساكسوني من جديد بعد فترة عانت فيها من خمول وركود. ففي السنوات السابقة واللاحقة للحرب العالمية الثانية تراجعت الفلسفة السياسية وتراجع دورها إلى هامشية لا يكاد يلحظها أحد إذ أصبح الاهتمام الأول حينذاك للمنطق واللغة بينما أهمل شأن قضايا تمس الحياة الإنسانية أخطر ما تمس الحرية والمساواة وحقوق الإنسان .

فكانت فلسفة السياسة عند راولز علامة فاصلة في تاريخ الفكر المعاصر، وبعثا جديدا للإهتمام بمفاهيم العدالة ومبادئها، والعناصر المقترنة بها، لإقامة نظم اجتماعية تحقق العدالة للبشر والحرية والمساواة وتكافؤ الفرص والحقوق الأساسية.

لقد كانت نقطة البدء عند جون رولز هي العدالة بين أفراد مجتمع ما ، يسميه المجتمع المحلي لينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن العدالة في نطاق دولي، ومبادئ العدالة في العلاقات بين الأمم والشعوب.

الكلمات المفتاحية : العدالة ، المحلي ، العالمي ، قانون الشعوب، الحرب العادلة.

Summary :

This article seeks to highlight the theory of justice for John Rawls in both its local and international dimensions (levels). John Rawls worked to resurrect (re-) political philosophy in Anglo-Saxon thought after a period of inactivity and stagnation. In the years just before and just after the second world war political philosophy retreated to a marginal role that almost no one noticed; as the first concern then became for logic and language; while neglecting issues affecting human life; the most dangerous of them such as freedom, equality and human rights.

The political philosophy of Rawls was a watershed in the history of contemporary thought. And a new mission to concern itself with concepts of justice; its principles and the elements associated with to establish social systems that achieve justice for human beings; freedom; equality; equal opportunities and fundamental rights.

John Rawls starting point was justice among members of a community that he calls local community and then moves on to speaking about justice on an international scale and the principles of justice in relations between nations and peoples.

keywords : justice local universal the law of people just war .

المقدمة

شكل تاريخ 9 نوفمبر 1989 م بداية حقبة جديدة في تاريخ البشرية، إذ تميزت هذه الحقبة بظهور ما عرف بـ العولمة والتي تعني انتشار نفس القالب السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي في العالم كله. ويظهر صدى العولمة على المستوى الاقتصادي في انتصار الليبرالية الاقتصادية، أما على المستوى السياسي فقد انتصر النظام الديمقراطي الغربي باعتباره أفضل نظام ممكن، أو أقل الأنظمة سوء كما ذكر تشرشل، وكما زعم فرنسيس فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ والإنسان الأخير. فبعد ثلاث سنوات من سقوط جدار برلين أقر فوكوياما بأن هذا الحدث لا يعني فقط نهاية الحرب الباردة، وإنما أيضا الانتصار النهائي للنموذج الديمقراطي الليبرالي على النظام التوتاليتاري الشيوعي.

ويعتد جون رولز* من أهم أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة، وشكلت اسهاماته محورا أساسيا لمعظم القضايا المتداولة على الساحة الدولية مثل العدالة، حقوق الانسان، الديمقراطية، الليبرالية السياسية... الخ. فقد أصدر كتابه نظرية في العدالة سنة 1971 م، وكان لهذا العمل تأثيرا مباشرا على الفلسفة السياسية في الأوساط الأكاديمية وغير الأكاديمية، إذ إلى غاية 1971 م كانت الفلسفة الأنجلوسكسونية خاضعة للفكر التحليلي مكرسة بذلك للمنطق الفلسفي الايبستيمولوجي، أما الفلسفة السياسية فكانت غير مؤثرة؛ إلا أنه مع نظرية رولز للعدالة عرفت الفلسفة السياسية تجديدا فقد أعادت فتح مجال سؤال الأخلاق والسياسة داخل المجتمعات الغربية، مما أدى إلى احتدام النقاش السياسي حول مشروعية الليبرالية السياسية وحول مستقبل الديمقراطية في العالم المعاصر وما آلت إليه الحداثة السياسية وما تخللها من أزمات وتوترات بين الحرية والمساواة، والفرد والدولة، والعدالة والخير، والاستقلالية والعمومية، وبين الدائرة الخصوصية والفضاء العمومي. لهذا اختص هذا البحث بموضوع العدالة في شقيها المحلي والعالمي فجاءت إشكالية الدراسة على النحو التالي :

ماهي أسس نظرية العدالة عند جون رولز على المستوى المحلي للدول ومؤسساتها ؟ وهل يمكن تطبيق عدالة كونية ومن ثمة تحقيق الاستقرار والسلام العالمي ؟

وقد كان الهدف من هذا البحث هو:

- سبر أغوار كتابات رولز والأبحاث الشارحة له من أجل ضبط دقيق لمفهوم العدالة عنده.

-النفاز إلى عمق فكر رولز من أجل استنطاق معنى العدالة عنده على المستويين المحلي والعالمي.

أولا: موقف رولز من العدالة

إن الحرب العالمية الثانية كانت أهم وأعرق التجارب في حياة جون رولز. حيث كانت إعلانا عن عمق أزمة العدالة في الوجدان البشري. إذ أن كل نظرية للعدالة أعلنت استقلالها

وخروجها عن التأثير. فلا غرابة إذن أن يعود رولز ليبحث عن نظرية في العدالة من جديد. هذه ليست كل الصورة بالتأكيد فقد كانت أميركا في الخمسينات والستينات تعجّ بسؤال العدالة أيضا. التمييز العنصري وحقوق الأقليات وحركات الحقوق المدنية المختلفة كانت تدفع باتجاه تأزم سؤال العدالة في المجتمع الأميركي. كذلك لم يتأخر رولز كثيرا في تقديم تصوّره للعدالة ليقدّم بعد سبع سنوات من حصوله على الدكتوراه مقالته الشهيرة «العدالة كإنصاف» التي ستتحول لاحقا إلى كتابه الشهير «نظرية في العدالة». مع هذه المقالة أعلن رولز أنه ينتمي لنظرية العقد الاجتماعي في مقابل نظريات النفع والحدس السائدة في أميركا في ذلك الوقت. وهنا نستعرض أهم الأفكار التي إقترنت بمفهوم العدالة عند رولز.

1 - نظرية العدالة سياسية وليست ميتافيزيقية:

بداية لا بد من التأكيد على أن نظرية رولز في العدالة هي نظرية سياسية وليست ميتافيزيقية حيث قال: "إن هدف نظرية العدالة كإنصاف ليس ميتافيزيقيا ولا إبيستيمولوجيا. بل هو هدف عملي. وهي بالفعل لا تقدم ذاتها كتصور صحيح، وإنما كأساس لتوافق سياسي واعي وطوعي بين مواطنين ينظر إليهم من حيث أنهم أشخاص أحرار وأنداد، وحينما يتأسس هذا التوافق بكيفية صلبة على مواقف إجتماعية وسياسية عمومية، فإنه يضمن خير كل الأفراد وكل الجماعات التي تنتمي إلى نظام ديمقراطي عادل"¹ كما قال في موضع آخر: "يجب على التصور العمومي للعدالة أن يكون سياسيا وليس ميتافيزيقيا"² وهذا يعني أمور كثيرة منها: أن هذه النظرية لا تهدف لتحديد الخير من الشر بقدر ما تهدف إلى وضع المبادئ التي يجب أن تقام عليها البنية الأساسية السياسية للمجتمع. أمرا آخر وهو أن نظرية العدالة عند رولز ليست استنباطا منطقيا من مسلّمات أخلاقية معيّنة بل هي نتيجة لاتفاق افتراضي بين أفراد المجتمع. فهو هنا يراهن على جعل الفلسفة ملتصقة على الأقل في قضاياها ودواعيها بما يطرحه راهن سياقها³ مما يعني أن قيمة العمل النظري تتحدد بمدى قدرته على خدمة المجال العمومي، الذي يمثل الحاضر المركزي لكل مشاريع الحياة الخيرة. وهذا ما صرح به في قوله: "فالفلسفة من حيث هي بحث عن الحقيقة لا تستطيع حسب رأيي، على مستوى أخلاقي أو ميتافيزيقي مستقل، أن توفر أساسا مشتركا وقابلا للتطبيق؛ لتصور سياسي للعدالة داخل نظام ديمقراطي"⁴ فالفيلسوف عنده، لا يقيم مشاريعه على نبوءات تتجاوز أفق الناس، وإنما هو مفكر يحاول أن يؤسس لعدته النظرية قريهم ولأجلهم⁵. فنظريته هي نظرية بعيدة كل البعد عن الميتافيزيقا بل هي نظرية واقعية تهدف إلى خلق عوالم فعلية تهتدس للسلم الاجتماعي وتنظر لما يدعوه رولز بالإستقرار العادل الذي يمثل مبتدأ الخير⁶.

2 - العدالة بين التفاوت والمساواة (العدالة كإنصاف):

إن العدالة تحتاج إلى عدة نظرية لأجل أن توفر لها آليات تنظيمية تسمح لحس العدالة بأن يتحول من مجرد منزع معتم، تتداخل فيه المشيئات الضيقة والأنانية مع أحاسيس الحاجة إلى فعل انخراط في تعاون ضروري مع ذوات أخرى، لها هي أيضا مطالبها ومظالمها وغرائمها وغنائمها. يشتغل

مشروع راولز على بنيات أعمق بكثير مما يعتقده السياسي المتمرس بجمالية خطاب التعبئة، أو مقارنة بالمقاربة الاقتصادية التي تكتفي بتدبير محفظة الخيرات على أكثر الوجوه فاعلية. فقد إعتبر جون راولز أن العدالة هي: "الفضيلة الأولى للمؤسسات الاجتماعية"⁷ ومعنى ذلك أن العدالة هي قطب الرحي في التنظيم الاجتماعي؛ إذ يستحيل الحديث عن بنية مؤسساتية جيدة التنظيم دون الحديث عن كونها تجسيدا للعدالة. وقد أضاف قائلا: "مهما كانت النظرية أنيقة لابد من رفضها إذا لم تكن صادقة، كذلك الأمر بالنسبة إلى القوانين والمؤسسات مهما كانت كفاءتها، لابد من إصلاحها أو إبطالها إذا كانت غير عادلة"⁸. وإذا حاولنا أن نضبط مفهوم العدالة كإنصاف لدى راولز فإننا نجده قد حاول تطوير التقليد الأرسطي بخصوص العدالة مؤكدا أن هذه الأخيرة تقوم على قاعدة الإنصاف، وهي قاعدة تقتضي أولا حق استفادة كل الأفراد من نفس الحقوق الأساسية على قدم المساواة، كما تقتضي ثانيا عدم وضع عوائق أمام أولئك الذين سمحت لهم مواهبهم وظروفهم الاجتماعية ببلوغ أعلى المراتب الاقتصادية والاجتماعية (الثروة والسلطة)؛ على أن يفسح المجال أيضا للذين هم أقل منهم، في إطار تعاون جماعي إرادي لبلوغ نفس المراتب واقتسام الثروات. وهذا ما جاء في قوله: "باعتبار أننا نتموضع داخل تقليد الفكر الديمقراطي، فعلى أن نعتبر المواطنين أشخاصا أحرارا وأندادا والفكرة الحدسية الأساس هاهنا، تتمثل في أننا نعتبرهم أشخاصا أحرارا بفضل كفاءاتهم الأخلاقية والعقلية كذلك، أي تلك الكفاءات المتعلقة بالتفكير والحكم المرتبطين بها. ثم وعلى أساس توفرهم على هذه الكفاءات في الحدود الضرورية التي تجعلهم أعضاء كامل العضوية داخل المجتمع، فإننا نذهب إلى كونهم أندادا لبعضهم البعض"⁹. ومن هنا نستشف أن العدالة عند راولز تقوم على قاعدة الإنصاف وهي قاعدة تقتضي من جهة، حق كل شخص في الاستفادة بالتساوي من الحقوق الأساسية وبالتالي لا يمكن قبول أي تفاوت إلا إذا كان في صالح الأقل حظا¹⁰ ومن جهة ثانية، إعتبار اللامساواة الاجتماعية مقبولة عقليا، إذا ما سمح لجميع الأفراد ببلوغ مراتب ووظائف عليا في المجتمع، وفقا لمبدأ تكافؤ الفرص. ويؤكد راولز أن مقارنته السياسية بخصوص العدالة إنما هي مستمدة بشكل مباشر من التقليد الليبرالي حيث قال: "إن نظرية العدالة كإنصاف تأخذ منطلقها من حدس نزع بأنّه متضمن في الثقافة العمومية للمجتمع الديمقراطي، حيث أن المواطنون لا يتعاملون في إطار فكرهم السياسي وداخل سياق نقاشهم العمومي للمسائل السياسية، مع النظام الاجتماعي كما لو أنه نظام طبيعي قار أو كتراتبية مؤسساتية مبررة. إنطلاقا من قيم أرسطراطية أو دينية. ولهذا فمن المهم التأكيد على أن مختلف واجهات العالم وعلاقاتنا به تظهر بوجه آخر إذا ما تناولناها من زاوية مغايرة"¹¹. ومن هنا نستخلص أن مبدأ المساواة ومبدأ الاختلاف، يشكل في نظر راولز، قاعدة للإنصاف لأنهما يحولان دون استعمال المواهب الطبيعية والظروف الاجتماعية كامتياز من أجل الحصول على امتياز سياسي واجتماعي كما أنهما مبدأ يحولان دون اللامساواة الطبيعية من أجل بناء وضع أصلي للمساواة¹² وبالتالي تكون فكرة العدالة كإنصاف عند رولز مختلفة عما يشرعن له المذهب النفعي والذي يهدف للسقوط في ديمقراطية السوق وذلك بتفضيله لامتيازات الأغلبية الناجبة.¹³

3 - نظرية العدالة وظيفية وليست غائية:

يرى أتباع النزعة الأخلاقية الوظيفية وعلى رأسهم إيمانويل كانط أن مؤشر أخلاقية الفعل ومعياره هو عدم الاكتراث للغايات الإيجابية والسلبية المترتبة عليه، وعليه يجب التأكيد على أن الهدف من الفعل الأخلاقي ليس تحديد تصور عن الخير والسعادة والحسن، بل يمكن

تشخيص ما هو واجب وصحيح وأخلاقي اعتمادا على عقل الفرد الأخلاقي الذي لا نية له سوى إنجاز الواجب¹⁴.

ويمكن أن نلاحظ انعكاسات لهذا المبنى الأخلاقي الوظيفية في نظرية العدالة لدى كانط ، ويصنف جون راولز نظريته حول العدالة في عداد النزعة كالوظيفية ويرى أن الأصول التي يقترحها للعدالة لا تدين بصحتها الأخلاقية لأي تصور عن الخير الأخلاقي والاجتماعي؛ لأن هذه الأصول إختارها في الوضعية الأصلية – أفراد اتفقوا عليها بعيدا عن أي تصور للخير¹⁵ وذلك في إطار نوع من اليبستيمولوجيا الأخلاقية أو المعيارية بشكل عام، التي تعنى بشكل وآليات المعرفة، وليس فقط بالمضامين المعرفية¹⁶ حيث قال جون راولز: "علينا أن نكافح من أجل نوع من الهندسة الأخلاقية، بكل ما تحمله هذه التسمية من معاني الصرامة"¹⁷.

تقدم الحق بمعناه الحقوقى على الخير، فكرة شدد عليها المفكرون الليبراليون منذ القدم، ونظريات العدالة المتكونة في الثقافة الليبرالية – على الرغم من بعض الاختلافات في وجهات النظر – تشترك في أن المقولات والتصورات القيمية حول الخير والسعادة الفردية والعامّة، يجب أن لا تعتبر متقدمة على حقوق الأفراد الأساسية، وينبغي عدم رسم مديات الحقوق والحريات الفردية على أساس هذه التصورات القيمية أو تقييدها بها¹⁸.

وتنسجم رؤية راولز، في تأسيسه أولوية العدالة بصفتها حقا، مع الأساس الذي تقوم عليه أخلاق الواجب، إذ تؤكد أسبقية الحق وألويته على الخير انطلاقا من رؤية تجريدية متعالية للذات ، فالذات العاقلة مصدر وحيد للحق الذي يتحدد الخير بناء عليه لا قبله¹⁹.

فراولز يجعل هناك علاقة بين الحق والخير في نظريته "نظرية العدالة". ولكن يجعل الأولوية للحق على الخير.

وموقف راولز هذا يذكرنا بكانط، حيث أولوية الحق على الخير تعتمد على زعمين هما:

أ - الزعم الأول : إن بعض الحقوق الفردية هي من الأهمية بمكان ما يحول دون غلبة الخير العام ذاته عليها.

ب - الزعم الثاني : يشير إلى إن مبادئ العدالة التي تحدد حقوقنا، غير مرهونة بأي تصور معين للحياة الخيرة، أو كما قال راولز بأي تصور أخلاقي أو ديني (شامل) والزعم الثاني هذا تحديدا، هو تأكيد على أولوية الحق على الخير²⁰.

وقد ظلت الرؤية الواجبية للذات، بصفتها سابقة على الغايات، تمثل الطرح الأساسي لنظرية العدالة²¹.

4- نظرية العدالة والبعد الديني: (علاقة الدين بالسياسة).

لقد صاغ جون راولز في كتابه الليبرالية السياسية عدة مشكلات تتعلق أساسا بالعلاقة القائمة بين الدين والسياسة. وكان فحوى هاته المشكلات ما يلي : إلى أي مدى يمكن أن يوجد

ويستمر إلى الأبد مجتمع عادل ومستقر يتكون من مواطنين أحرار ومتساوين ولكنهم مختلفين جذريا حول مذهبهم الشمولية الأخلاقية والفلسفية والدينية غير المنسجمة فيما بينها رغم معقوليتها؟ وهل يصدر الواجب الأخلاقي عن قوة خارجة عن ذاتنا تتجسد في علوية منظومة القيم المنزلة من العقل الإلهي أم عن الطبيعة البشرية ذاتها (إما عن ملكة العقل أو عن ملكة الإحساس أو عن توحد الملكتين) جنباً إلى جنب مع متطلبات العيش سوياً في نطاق المجتمع؟ وأخيراً هل نحن مقتنعون أم مجبرون على الإمتثال لمتطلبات واجباتنا والتزاماتنا خارجياً خشية العقوبات الشرعية أو المدنية أم أن ذلك يتم في توافق مع طبيعتنا ذاتها وما تنطوي عليه في داخلها من دوافع تكفي بذاتها لتجعلنا نفعل كما نريد في معزل عن كل الإكراهات والإغراءات الخارجية؟²²

للإجابة عن هذه التساؤلات يبدأ جون راولز الحديث بعرض السياق التاريخي لتطور فكرة العلاقة بين ما هو سياسي وما هو ديني حيث يقول: " ففي بدايات الفلسفة الأخلاقية وتحديدًا مع سقراط، كان ينظر إلى الدين قديماً كعقيدة مدنية تشكل ضمن ممارسات إجتماعية عمومية وأشكال طقوسية واحتفالية ذات طابع مدني وشعبي. فالثقافة الدينية لا تستند إلى كتاب مقدس مثل الإنجيل أو القرآن أو أيضاً الفيدا في الديانة الهندوسية. فلقد كان الإغريق يحيون ذكرى هوميروس ويستلهمون من قصائده قيمهم الأساسية في التربية دون أن ترقى الإلياذة والأوديسا إلى مرتبة النصوص المقدسة"²³. ويضيف قائلاً: " وما يهم في كل ذلك هو الإمتثال للقواعد والأعراف التي تتوافق مع روح الجماعة، وليس أبداً ما تعنيه تلك المعتقدات في أدق تفاصيلها. فالمواطن الحق هو الذي يأتي بتلك الشعائر باعتباره عضواً في المجتمع جدير بالثقة ومستعد دائماً للاستجابة لتلك الطقوس كاستحقاقات مدنية لا تقل قيمة عن الإستحقاقات المدنية الأخرى من قبيل المشاركة في اللجان أو المساهمة في التجديف ضمن الأسطول الحربي في حالة الحرب، وذلك بحسب ما تمليه الظروف."²⁴ فالدين لدى الإغريق ليس دين خلاص بالمعنى المسيحي، فلا يتعلق الأمر عندهم بجماعة من الكهنة تستأثر بالوسائل الضرورية لتحصيل النعم. فلا قيمة البتة لفكرتي الخلود والخلال في الثقافة الإغريقية القديمة .

أما إذا ولينا نظرنا إلى الحقبة الحديثة فسندكتشف أنها شهدت تحولات ساهمت في رسم ملامح الفلسفة الأخلاقية والسياسية وهي :

أ - الإصلاح البروتستانتي في القرن السادس عشر

ب - ما شهدته الدولة الحديثة من تطور على مستوى إدارتها المركزية. فلقد كانت سلطة الدولة في شكلها الملكي متمركزة بشكل مطلق في شخص العاهل.

- تطور العلم الحديث والتحول الكبري التي شهدتها خاصة بعض العلوم من قبيل علم الفلك والفيزياء .

بعدها يذكر رولز بأن مسيحية القرون الوسطى تميزت بخواص لا نعثر عليها في العقيدة المدنية لدى الإغريق:

- إنها ديانة تسعى لأن تكون ذات سلطة مقدسة

- إنها ديانة همها خلاص البشر

- لقد كان لحركات الإصلاح الديني التي عرفتھا المسيحية تبعات لأن الأمر تعلق بتصعد ديانة سلطتها مقدسة

- يوجد إختلاف أخربين الحقبة القديمة والحقبة الحديثة يتعلق بالفلسفة. ففي الحروب الدينية لم يكن الناس يبدون أي تحفظ كان حول طبيعة الخير الأسى أو حول تأصيل الواجب الأخلاقي في صلب القانون الإلهي فهم يعتقدون أن يقينهم في ذلك ينبع من قوة إيمانهم. وعليه فإن أخلاقهم اللاهوتية هي التي تهديهم إلى سواء السبيل. ولكن ماذا لو وجدنا أنفسنا في مواجهة مجتمع يعتنق أعضائه ديانات متعددة؟

أنى لنا أن نتخيل قاعدة للتسامح الديني ينتهي بنا في هذه الحالة إلى قبول الهرطقة (الكفر) التي تتعارض مع التعاليم المتفق عليها.

وهكذا إذن يمكن القول بأن الليبرالية السياسية (أو الليبرالية بصفة عامة) تجد أساسها التاريخي في صلب الإصلاح البروتستانتي وما أعقبها من تحولات جذرية علاوة على ما ساد من نقاشات طويلة حول مفهوم التسامح الديني خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر .

ولقد تزامن ذلك مع تبلور مشروع ما اصطلح على تسميته المحدثون حرية الضمير وحرية التفكير حتى أن هيجل ما فتئ يؤكد على أن الليبرالية كان لها الفضل في أن فتحت الباب على مصراعيه أمام تطور حرية المعتقد، من خلال إعلانها لقيم التعددية المعقولة كميزة جوهرية قامت عليها منذ البدء مثل تعددية المذاهب الشمولية دينية كانت وغير دينية.

وعلى هذا النحو يظهر نجاح الليبرالية ككشف عن تصور جديد للمجتمع. مجتمع تعددي متناغم ومستقر بصورة معقولة.

تعتبر فكرة رولز التي مؤداها أن النظام السياسي العادل يتطلب حيادية أخلاقية في تعريف الخير من أهم الأفكار التي سيطرت في الفكر السياسي الليبرالي المعاصر حول علاقة الدولة بالمعتقدات الدينية والأخلاقية. وتعرف هذه الفكرة بالحيادية الليبرالية، وتقوم على أساس أن الدولة لا ينبغي لها بأي حال من الأحوال أن تعزز نمطا معيناً من أنماط المجتمع الخير على أساس أن بعض أشكال الحياة أجدر من غيرها بالإتباع، بل لابد أن تلتزم الحيادية تجاه كل أعضاء المجتمع في كافة معتقداتهم الدينية²⁵

إن جون رولز ينظر إلى المجتمع على أنه يشمل على مجالين منفصلين: مجال سياسي عام، ومجال خاص للدين والتصورات الأساسية عن الخير. وطالما أن حكم القانون محل احترام، فإنه يجب على الدولة أن لا تتدخل في الحياة الدينية والأخلاقية لمواطنيها²⁶

ثانيا : العدالة المحلية عند جون راولز:

يرى جون رولز في (العدالة كإنصاف) أن الموضوع الأولي للعدالة السياسية هو البنية الأساسية للمجتمع، أي مؤسساته السياسية والاجتماعية الرئيسية وكيف تجتمع بشكل ملائم في نظام تعاوني موحد. وتبعا للمؤسسات السياسية والاجتماعية تتشكل ثلاث مستويات للعدالة: العدالة المحلية، العدالة الأهلية والعدالة العالمية .

ففيما يخص المجتمعات الأهلية يقصد رولز بها الأسرة وهي أصغر بنية أساسية في المجتمع و أما فيما يخص قصد رولز بالمجتمعات المحلية فهي المجتمعات الثانية من حيث الترتيب التصاعدي، وتكون مظاهر العدالة فيها توزع على مواهب الأفراد الطبيعية وفرص تعلمهم ... وغيرها مما يحقق العدالة الاجتماعية في المجتمع المحلي، وهذه السلطة السياسية التي تحدد تلك المؤهلات للمواطنين لا تكون مشروعة إلا عندما تمارس طبقا للدستور ومبادئ القانون الجوهري التي صادق عليها جميع المواطنين المعقولين والعقلانيين في ضوء عقدهم الإنساني العام²⁷.

1 - المجتمع باعتباره نظاما منصفًا من التعاون :

أ - تعريف المجتمع كنظام للتعاون المنصف:

إن نظرية العدالة كإنصاف تنطلق من فكرة وجوب النظر إلى المجتمع كنظام للتعاون المنصف ، فإنها تبني تصورا للشخص ينسجم مع هذه الفكرة. فمنذ اليونان سواء في الفلسفة أو في القانون. قد فهم تصور الشخص بحسبانه ذلك الكائن القادر على المشاركة في الحياة الاجتماعية. أو على لعب دور معين وبالتالي توفيره على قدرة التأثير والإحترام لمختلف الحقوق والواجبات. وبهذا المعنى نقول إن الشخص مواطن، أي أنه عضو اجتماعي كامل النشاط عبر كل حياته²⁸ ، أي أن ما يميز العدالة الراولزية أنها تنشئ مشاركة الأفراد بصورة فعالة وعمومية وبالتالي ترفض أية محاولة لفرض المبادئ الغير مقبولة من قبل جميع المشاركين²⁹ وبمعنى أكثر وضوحا " إننا نفهم المجتمع كنظام من التعاون الكامل والمكتفي بذاته إلى حدود معينة، وبالتالي فهو يفسح المجال لكل ضروريات وأنشطة الحياة منذ ولادة الإنسان إلى غاية موته، فالمجتمع ليس جمعية تتشكل من أجل أهداف محدودة، إذ أن المواطنين لا يلتحقون به حسب إرادتهم بل إنهم يولدون داخله، وهم في حدود مقاربتنا ملزمون بتمضية حياتهم داخله³⁰ "

ب - شروطه: يحددها رولز فيمايلي:

– إن التعاون الإجتماعي يوجه بقواعد معترف بها بشكل عمومي وبواسطة إجراءات مقبولة من طرف المتعاونين ذاتهم. معتقدين بأنها توجه سلوكهم بشكل صائب³¹

– يتضمن التعاون فكرة إنصافية حدوده، المنخرطين داخل هذا التعاون والقائمين بدورهم بشكل موافق لقواعد الإجراءات يجب أن يستفيدوا بكيفية متناسبة. تقام حسب معيار ملموس للمقارنة³² حيث يقول رولز: "وهكذا فتصور العدالة السياسية هو ما يضع الحدود المنصفة للتعاون. وباعتبار أن الموضوع الأول للعدالة هو البنية الأساسية للمجتمع، فإن نظرية العدالة كإنصاف تضع هذه الحدود، بفضل مبادئ تحدد الحقوق والواجبات الأساسية داخل إطار المؤسسات الأساسية للمجتمع ثم من خلال توجيهها لمؤسسات عدالة السياق الإجتماعي بشكل مستمر، بحيث أن الإمتيازات الناتجة عن مجهودات الكل يتم توزيعها وتوزيعها بكيفية منصفة من جيل لآخر"³³ وهذا يعني أن فكرة التعاون تقوم على شروط:

- تعين شروط التعاون المنصفة فكرة المبادلة بالمثل أو التبادل: أي يستفيد جميع الذين يؤدون أدوارهم كما تتطلب القواعد المعروفة بحسب ما حدد في معيار عام ومتفق عليه.

– "تقتضي فكرة التعاون الإجتماعي توفر كل مشارك على فكرة حول الإمتياز العقلاني، أي عن خيره الخاص. إذ فكرة الخير هذه هي التي تحدد ما يتطلع كل المنخرطين داخل التعاون للبلوغ إليه. سواء تعلق الأمر بالأفراد، أو بالعائلات، أو الجماعات، أو حتى الدول-الأوطان. حينما يدرك النظام التعاوني من منظورها الخاص."³⁴ بمعنى تتضمن فكرة التعاون فكرة المنفعة العقلانية لكل مشارك، أو خيره.

ج - مقولاته: أكد جون رولز على أن هناك فكرتان أساسيتان ومتكاملتان تدخلان في الفكرة الجوهرية للمجتمع باعتباره نظاما منصفًا من التعاون الاجتماعي وهما: المعقول والعقلاني³⁵

- المعقول: صرح رولز قائلا: "يكون الأشخاص المعقولون مستعدين لإقتراح المبادئ التي يحتاج إليها لتعيين ما يمكن أن يراه الجميع شروطًا منصفة للتعاون"،³⁶ ويضيف قائلا: "أو يكونون راضين بالمبادئ عندما يقترحها آخرون. ويفهم الأشخاص المعقولون أيضا أن عليهم أن يحترموا هذه المبادئ حتى لو كانت على حساب منافعهم الخاصة ما اقتضت الظروف، بشرط مماثل هو أن يكون من المتوقع أن يحترمها الآخرون أيضا"³⁷ بمعنى أن رولز حصر مفهوم المعقولية على نحو بحيث لا يشتمل ما صدقه سوى على الحالات التي يكون للأفراد فيها استعداد للدخول في علاقات مع الآخرين والتقييد بالشروط التي تخضع لها هذه العلاقات.³⁸ و بالمقابل يقال عن أشخاص أو مذاهب أنها غير معقولة إذا كانت مستعدة لخرق شروط التعاون بالنظر إلى مصالحها الخاصة³⁹

العقلاني: قال رولز: "يعتبر غير المعقول عامة عقلاني. وقد يحدث أن يكون للبعض سلطة سياسية عليا أو يكون في موضع ذي ظروف أوفر حظا من ظروف غيره، عندئذ يكون عقلانيا أن يستغل ذلك البعض وضعه"⁴⁰ ففي نظر رولز، إلى جانب كونها تنبع من القدرة على

الحكم والاستدلال والتمييز والتفكير المتروى هي أفعال تستهدف تحقيق غايات ومصالح خاصة بالفاعل.⁴¹

ينطبق إذن مفهوم العقلانية على كيفية وصول الفاعل إلى تحديد غاياته ومصالحه، مثلما ينطبق على كيفية وصوله إلى تقرير ما له الأولوية بين هذه الغايات والمصالح. والمبدأ العقلي الأساس، في هذه الحالة، هو المبدأ الذي يقضي باختيار الوسائل القمينة بتحقيق الغايات والمصالح المعنية والأكثر فعالية من كل البدائل المتاحة لنا.⁴²

2 - فكرة مجتمع حسن التنظيم

ويقصد به المجتمع المنظم بكفاءة بواسطة مفهوم سياسي عام للعدالة عام، ويفهم من ذلك أمور ثلاث هي:⁴³

– هو مجتمع بقبل كل واحد فيه، ويعرف أن كل واحد آخر مثله بقبل، المفهوم السياسي للعدالة.

– إن البنية الأساسية للمجتمع هي فكرة ذات معرفة عمومية،

- إن للمواطنين حسا فعالا بالعدالة.

3 - فكرة البنية الأساسية :

أكد جون رولز على أن إحدى السمات الرئيسية للعدالة كإنصاف هي اعتبارها البنية الأساسية الموضوع الأولى للعدالة السياسية ذلك لأن اثار البنية الأساسية على أهداف المواطنين، وطموحاتهم، وخلقهم، وأيضا على فرصهم وقدرتهم على الإستفادة منها، هي اثار منتشرة وحاضرة منذ بداية الحياة لذ فإن تركيزه كلية سيقصر على البنية الأساسية باعتبارها موضوع العدالة السياسية والاجتماعية.⁴⁴

ويقصد رولز بالبنية الأساسية الإطار الاجتماعي الخلفي الذي تجري في داخله نشاطات الجمعيات والأفراد. كما أن البنية الأساسية العادلة تؤمن ما يمكن أن ندعوه العدالة الخلفية⁴⁵

4 - فكرة الأشخاص الأحرار والمتساوين:

تعتبر العدالة كإنصاف المواطنين منخرطين في تعاون اجتماعي، وبالتالي قادرين على ذلك، على مدى حياة كاملة، ويتمتع الأشخاص المعترفون كذلك بما يدعوه رولز القوتين الأخلاقيتين وهاتين الأخيرتين هما كالتالي:

أ - قدرة الحس بالعدالة، ب - القدرة على تحصيل مفهوم للخير

ويرد رولز قائلا: "إن الأشخاص يحوزون على قوتين أخلاقيتين، فإننا لا نعني أنهم حائزون على القدرات المطلوبة للإنخراط في تعاون اجتماعي مفيد ومتبادل على مدى حياة

كاملة فحسب، بل نعني أيضا أنهم يسعون لاحترام شروطه المنصفة، وذلك لمصلحتهم ذاتها".⁴⁶ ثم ينتقل جون رولز ليبين (ماذا يعني بالأشخاص المتساويين؟) فيجيب قائلا: "إنهم يعتبرون متساويين بمعنى أنهم يتمتعون ، إلى الحد الأدنى الجوهرى بالقوى الأخلاقية الضرورية للانخراط في تعاون اجتماعي لمدى حياة كاملة وللمشاركة في المجتمع كمواطنين متساويين".⁴⁷ وتعتبر حياتهم على هذه القوى لهذه الدرجة أساسا لتساوي المواطنين كأشخاص " ثم يردف قائلا: "أي أن نظرنا إلى المجتمع على أنه نظام من التعاون المنصف تجعل أساس المساواة في التمتع بالقدرات الأخلاقية وغيرها في حدها الأدنى المطلوب، والتي تمكننا من المشاركة الكاملة في الحياة التعاونية للمجتمع".⁴⁸ وينتج عن ذلك أن مساواة المواطنين في الوضع الأصلي تصاغ بمساواة ممثلهم ..

6 - التعددية المعقولة:

في كتاب نظرية في العدالة لم يميز رولز بين العقائد الأخلاقية الشاملة والتصورات السياسية المستقلة للعدالة. الأمر الذي نتج عنه إغفال ظاهرة التعددية في المجتمعات الحديثة. وبما أن نظرية العدالة المطلوبة هي النظرية المناسبة لمجتمع تعددي، إذن وجد رولز أن من الضروري تطوير نظريته في العدالة على نحو يأخذ التمييز المعني في الاعتبار⁴⁹ فمن الملاحظ أن ما نجده في الليبرالية السياسية ليس تصورا للعدالة مختلفا عن التصور الذي نجده في نظرية العدالة. ما يختلف الآن هو أخذه ظاهرة التعددية في الاعتبار، حيث إنه في نظرية العدالة أغفل هذه الظاهرة في إفتراضه أنه يمكن إلزام البشر بتبني تصوره للعدالة على أساس كونهم يتمسكون بالعقيدة الفلسفية الشاملة نفسها.

7 - معنى الاستقرار عند رولز:

يسعى جون رولز لطرح تنظيم سياسي يدعم إستقرار المجتمعات على نحو متكافئ ومتساو ويؤكد بأنه توجد هناك طريقتان تخصصان إهتمام المفهوم السياسي بالاستقرار، نفترض في أحدها أن الاستقرار هو مجرد شأن عملي، إذا أخفق مفهوم في أن يكون مستقرا، فمن العبث محاولة تحقيقه. في هذه الحالة نفكر بأنه يمكننا أولا صياغة مفهوم سياسي حسن، ومعقول بالنسبة إلينا على الأقل. والآخر إيجاد طرق لجذب الآخرين ممن لا يرفضونه للمشاركة فيه، وفي حال الإخفاق، والعمل وفقا له، وإذا تطلب الأمر عن طرق فرض عقوبات من قبل سلطة الدولة، وطالما وجدت وسائل الإقناع والفرض، فإن النظرة إلى المفهوم تفيد بأنه مستقر⁵⁰

ثالثا: العدالة العالمية عند جون رولز :

لقد كان إهتمام رولز الأول منصبا على تحديد مبادئ للعدالة الأهلية والمحلية، مستبعدا الخوض في أي حديث عن العدالة الكوسموبوليتية، ولكن بعد مراجعته لكتابه الأول والإنتهاء من صياغة نظريته " العدالة كإنصاف"، أخذ يطرح في كتابه " قانون الشعوب " المبادئ المفروضة تطبيقها على القانون الدولي مقدما توسعا نحو خارج الدولة، ومعدلا

أطراف عقده الافتراضي، بحيث يتغير أطراف قانون الشعوب من الأفراد (المستوى الداخلي) إلى ممثلي الشعوب (المستوى الدولي).⁵¹

1- ماذا يعني قانون الشعوب ؟

لقد عمل رولز على بلورة ملامح رؤية جديدة للعلاقات بين الحضارات والشعوب، أساسها التعاون والتعايش السلمي بعيدا عن مظاهر العنف والحرب والغطرسة وعلاقات القوة والهيمنة. إذ ذكر رولز بأنه يعني بقانون الشعوب "تصورا سياسيا محددا عن الحق والعدالة يتفق مع مبادئ ومعايير القانون الدولي والممارسات الدولية"⁵². ويعني ذلك أن رولز صمم لرؤية تؤسس نموذجا جديدا في العلاقات الدولية يعمل على ضمان شكل من الاستقرار للنظام الدولي.⁵³

2 - شعوبا وليس دولا :

يقدم جون رولز مبررات استخدامه لمصطلح شعوب من خلال ما يلي :

- إن الدول كيانات سياسية لها حقوق سيادة تضمنها القانون الدولي طوال القرون الثلاثة بعد حرب الثلاثين عاما (1618 – 1648). حقوق السيادة هذه تمنح الدول الحق في شن الحرب لتحقيق أغراضها السياسية – مبدأ كلوزوفيتش بالإستمرار في السياسة بوسائل أخرى – على أن تكون المصالح الحكيمة العقلانية للدولة هي التي تحدد غاياتها السياسية. حقوق السيادة كذلك تمنح للدولة استقلالا ذاتيا معينا في التعامل مع شعبيها ذاته، وهذه الاستقلالية من وجهة نظر رولز خطأ⁵⁴. فقانون الشعوب يقيد السيادة المحلية للدولة، أو الاستقلال الذاتي (السياسي)، أي حقها المزعوم في أن تفعل ما تشاء بشعبها داخل حدودها.⁵⁵

- السمات المهمة التي تميز الشعوب عن الدول أن الشعوب تستمد ما لها من حقوق وما عليها من واجبات فيما يتعلق بما يسمى سيادتها من قانون الشعوب ذاته.

- ينظر قانون الشعوب إلى مجتمع الشعوب على أنه يتكون من شعوب ليبرالية ديمقراطية وكذلك من شعوب سمحة، وتتميز هذه الشعوب الليبرالية بثلاث سمات رئيسية: حكومة ديمقراطية دستورية عادلة إلى حد معقول ومواطنون يوحد بينهم مشاعر وجدانية مشتركة، وأخيرا طبيعة أخلاقية⁵⁶.

ويعني رولز بأن يكون للشعب حكومة ديمقراطية دستورية عادلة إلى حد معقول هو أن تكون الحكومة من الناحية الفعلية تحت السيطرة السياسية والانتخابية للشعب، وأن تحاسب على المصالح الأساسية للشعب وتحمي تلك المصالح كما ترد تحديدا في دستور مكتوب أو غير مكتوب.⁵⁷

3 - أنواع الشعوب :

يقسم جون رولز الشعوب إلى ما يلي :

- المجتمعات الليبرالية الديمقراطية الدستورية العادلة
- المجتمعات السمحة أو المجتمعات الهرمية التشاورية السمحة، وهي المجتمعات الدستورية غير الليبرالية
- الشعوب والمجتمعات المغلوب على أمرها، وهي شعوب منكوبة غير عدوانية تراعي حقوق الإنسان.
- مجتمعات وشعوب السلطة المطلقة الخيرة أو المستبد العادل.

4 - أسباب وضع قانون الشعوب:

حدد جون رولز هذه الأسباب في سببين أساسيين هما على التوالي :

- أ- الشرور الجسيمة التي يعاني منها المجتمع الإنساني (الحرب غير المشروعة والقهر والاضطهاد الديني والحرمان من حرية الضمير، ناهيك عن الإبادة والقتل الجماعي).
- ب- إن تلك الشرور الجسيمة ستختفي عندما تزال أفدح أشكال الظلم السياسي بإتباع سياسات إجتماعية عادلة (أو على الأقل سياسات سمحة)، وإقامة مؤسسات أساسية عادلة (أو على الأقل مؤسسات سمحة)⁵⁸

5- مبادئ قانون الشعوب:

لقد أرسى جون رولز مبادئ تحكم الإجراءات التعاقدية لقانون الشعوب وهذه المبادئ هي:

- إن الشعوب حرة ومستقلة ويجب أن تحترم حريتها واستقلالها .
- يجب على الشعوب مراقبة العهود الدولية وأن يلتزموا باتفاقياتهم.
- إن الشعوب متساوون وأنهم أطراف في الإتفاقيات التي تربطهم .
- يجب أن تكون الشعوب ملتزمة بمبدأ عدم التدخل .
- إن الشعوب لها حق الدفاع عن النفس، ولكن ليس لها حق التحريض على الحرب في غير الدفاع عن النفس .
- إن الشعوب هي صاحبة حقوق الإنسان.
- إن على الشعوب أن تراعي بعض الحدود أثناء الحرب .
- يجب على الشعوب مساعدة الشعوب المغلوب على أمرها

تبدو هذه المبادئ للناظر إليها منذ الوهلة الأولى أنها ليست إبتكارا جديدا وإنما هي إعادة صياغة لما يعرف في الصيغة الكلاسيكية والحديثة للقانون الدولي حق الأمم . لكن عند المقارنة الدقيقة بالنظرية الكلاسيكية ل حق الأمم تبرز إختلافات غاية في الأهمية فإذا كانت المبادئ الستة الأولى مطابقة لما يعد النواة المركزية للمأثور التقليدي كما صاغه المفكرون المحدثون للقانون الدولي أمثال جروتوس وقيتوري وبوفندروف وقاتيل، فإن المبدأ السابع الذي يجعل احترام حقوق الانسان واجبا على الشعوب وعلى الدول، لا يتوافق مع روح المأثور التقليدي، فعلى خلاف النظرية الكلاسيكية، لا يهدف فقط قانون الشعوب في صيغته التي وضعها راولز إلى تشجيع ظهور علاقات تعاون وسلم بين أمم ودول تمتلك مقومات السيادة كلها ولكن ما يهدف إليه رولز يتجاوز ذلك لأنه يبحث عن قاعدة وفاق أخلاقي دولي حول مجموعة من المبادئ. ولن يترتب على اعتناق تلك المبادئ التخلي فحسب عن الحرب، وإنما أيضا التخلي عن أشكال الهيمنة المباشرة أو غير المباشرة واستغلال النفوذ للإحتفاظ بموقع مسيطر داخل المنظومة الدولية.⁵⁹ لهذا إعتبر راولز أن هذا البيان للمبادئ ليس كاملا وبالتالي يجب أن تضاف إليه مبادئ أخرى، كما ان المبادئ المذكورة تتطلب الكثير من الشرح والتفسير، إذ لا حاجة إلى بعض تلك المبادئ في مجتمع شعوب جيدة التنظيم، على سبيل المثال: المبدأ السابع الخاص بالسلوك في الحرب والمبدأ السادس حول حقوق الإنسان. أما بالنسبة لمبدأ مثل المبدأ الرابع والذي يعني به راولز عدم التدخل فإنه يحتاج بطبيعة الحال إلى ضوابط معينة وقيود في الحالة العامة للدول الخارجة على القانون وفي حالة الإنتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان. فعلى الرغم من أن مبدأ عدم التدخل مبدأ مناسب لمجتمع الشعوب الجيدة التنظيم، إلا أنه لا يصلح في حالة مجتمع شعوب غير منظمة تستوطن فيها الحروب وتعم الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان. فلا يجوز لشعب أن يحتج على إدانته من المجتمع العالمي إذا كانت مؤسساته المحلية تنتهك حقوق الإنسان أو تقيّد الأقليات. ويضيف راولز بأنه لا بد أن تكون هناك مبادئ لتكوين وتنظيم اتحادات بين الشعوب، وقواعد منصفة للتجارة وسائر المؤسسات التعاونية. كما ستشمل هذه المبادئ أحكاما معينة للمساعدة المتبادلة بين الشعوب في أوقات المجاعات والفحط، والتي ستختلف في درجة صرامتها مع اختلاف خطورة الحالة وشدها .

6- الحرب العادلة :

لقد أكد جون رولز على أن المجتمعات الليبرالية والديمقراطية لا تتحارب فيما بينها ولا تخوض حروبا إلا من أجل الدفاع عن نفسها ضد الأنظمة الاستبدادية والتوسعية حيث قال : " لا يمكن لمجتمع ليبرالي أن يطلب، بكل عدالة من مواطنيه أن يخوضوا الحرب لتكديس الثروات الإقتصادية أو الإستحواذ على موارد طبيعية، باسم سياسة هيمنة أو من أجل مطامح إمبريالية"⁶⁰. وحتى في الحالة التي ترغب فيها هذه الشعوب على دخول حرب ما، فهي تتقيد بجملة من الضوابط يحددها قانون الحرب ولا تحيد عنها⁶¹. حيث قال رولز: " إن المعايير التي تحكم إدارة الحرب، تضع حدود الفعل العادل، ولا يجب أن تتخطى الإستراتيجيات وخطط الحرب، وكذلك طريقة إدارة المعارك"⁶².

وقد وضع رولز مبادئ تصلح معايير لتحديد شروط الحرب العادلة. يتعلق المبدأ الأولان بالحق في الحرب، في حين تتعلق بقية المبادئ بالحق أثناء الحرب

أ - الحق في الحرب :يحدد رولز مبادئها فيما يلي :⁶³

- إن الغاية التي يجوز من أجلها لشعب ديمقراطي أن يدخل الحرب هي إرساء السلم بين الشعوب .

- إن العدو الذي يتصدى له مجتمع ديمقراطي يمثل مجتمعا توسعيا غير ديمقراطي مادامت المجتمعات الديمقراطية لا تخوض عموما حروبا ضد بعضها بعضا.

ب - الحق أثناء الحرب : ويحدد لها رولز مبادئ أربعة وهي على التوالي :⁶⁴

- إن مسؤولية إشعال فتيل الحرب يعود إلى القادة السياسيين والإداريين في الدولة المعتدية، وإلى قادة الجيش من الرتب العليا لا إلى الجنود أو المدنيين من السكان.

- ضرورة أن تحترم الشعوب الديمقراطية حقوق الإنسان أثناء الحرب حتى لا يفقد العدو صفته ضمن أعضاء مجتمع إنساني ما

- إن شعب عادل لا يخوض غمار حرب إلا من أجل الحصول على السلم؛ لذلك ينبغي على قادته أن يعلنوا على العموم وعلى نحو بين غاياتهم من تلك الحرب .

- إن المعايير، التي تحكم إدارة الحرب، تضع حدود الفعل العادل، ولا يجب أن تتخطى الاستراتيجيات وخطط الحرب. بمعنى أن قواعد الحرب تعين حدودا يجب أن لا تتجاوز أبدا⁶⁵

الخاتمة

شكل استجلاء فكرة العدالة عند رولز الغاية الرئيسية التي سعت إلى تحقيقها هذه الدراسة وقد تمكنا من الوصول إلى النتائج التالية:

- يعود الفضل إلى جون رولز في إعادة إحياء وبعث موضوعات الفلسفة السياسية داخل السياق الليبرالي المعاصر، بعد أن شهدت غيابا كليا في ظل سيادة الفلسفة التحليلية وسيطرتها على مجالات البحث الفلسفي.

- إن نظرية العدالة عند رولز أحدثت ثورة في مجال الفلسفة السياسية فكما قال ويل كمليك ليس لأنها تحظى بالترحيب الكلي والقبول والرضى المطلقين ولكن لأن كل منظري العدالة الذين أتوا بعد رولز، يقدمون أنفسهم وفق الموقف الذي يتخذونه من نظريته، وينبغي عليهم لعرض نظرياتهم شرح الاختلاف والتمايز عن نظرية رولز.

- إن الهدف الأساسي الذي سعى إليه جون رولز من خلال نظريته في العدالة هو إيجاد نظرية بديلة عن المذهب النفعي تحمل تصورا جديدا للعدالة يرفض الطبقية ويصلح التصديعات التي آلت إليها الليبرترية.

- ما قدمه رولز يعتبر طرحا ثريا إذ دمج بين المساواة والحرية وتكافؤ الفرص في تحليله لموضوع العدالة، منطلقا من البنية الأساسية للمجتمع باعتبارها مجالا للتعاون لا للصراع والمنافسة .

- زواج جون رولز بين المساواة والتفاوت في نظريته في العدالة وهذا ما دعاه بالعدالة كإنصاف حيث يظهر مبدأ المساواة في الحق فيالتمتع بالحريات الأساسية بينما يتجلى مبدأ التفاوت في ما يسمى بتكافؤ الفرص.

- لم يكن تحصل جون رولز على ميدالية الإنسانية الممنوحة للشخصيات التي تقدم أعمالا رائدة للبشرية والإنسانية جمعاء على يد الرئيس الأمريكي بيل كلنتون إلا إعترافا بقيمة المنجز الفكري الذي أبداه فقد أمضى رولز ما يتجاوز النصف قرن مهوسا بموضوع العدالة السياسية، حيث كانت نقطة البدء عنده هي العدالة بين أفراد مجتمع ما ، يسميه المجتمع المحلي لينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن العدالة في نطاق دولي، ومبادئ العدالة في العلاقات بين الأمم والشعوب.

- آمن رولز بأن أكثر سمة تميز الطبيعة البشرية هو قدرتنا على أن نختار بحرية الغايات التي نسعى إلى تحقيقها. يترتب على ذلك أن الواجب الأول للدولة تجاه مواطنيها هو أن تحترم هذه القدرة على الاستقلال الذاتي، وأن تترك للمواطنين حرية العيش وفقا لاختياراتهم الذاتية.

- قدم رولز بديلا مختلفا عن نموذج النظام الويستيفالي في العلاقات الدولية مستأنسا بمشروع السلام الدائم لكائط محاولا قدر الإمكان الدعوة إلى تغيير الوضع القائم على مستوى العلاقات بين الدول والذي يحكمه أساسا مبدأ القوة والصراع والمصلحة.

- المشروع الفلسفي ل جون رولز يهدف إلى تحقيق السلام والاستقرار بين دول وشعوب العالم وبالتالي نبذ الاختلاف والتطاحن فهو دعوة لإحلال التسامح والتعاون والتعايش السلمي كبديل.

- ينطوي المشروع السياسي لراولز على جدة في الطرح تجلت في تحليله لمبدأ العدالة على المستويين المحلي والعالمي فهو مشروع كفيل بأن يصل بشعوب العالم إلى تجاوز كل أشكال الصراع، كما يضمن لجميع شعوب العالم إسترجاع حقوقها المنتهكة، وهنا تظهر رغبة رولز في تجاوز كل أشكال الصراع بين الأمم والشعوب الناجمة عن النظرية الليبرترية الإقصائية وماتج عنها من مفاهيم كصدام الحضارات ونهاية التاريخ.

- إن جديد المشروع الفلسفي ل جون رولز هو التنبيه إلى أن السياسة لا تمثل للفاعل السياسي حلبة للصراع والنزاع من أجل الظفر بأدوات الممارسة المشروعة للسيطرة (طبقة

على طبقة أو فئة من الأشخاص على أخرى) وإنما تمثل كفضاء تعاون وتعايش سلمي يتعين إدارته على نحو منصف.

- لا يمكن للخلاف بين تصورات الخير ونموذج الحياة المثلى مهما كان عمقه ولنزاع المصالح مهما كانت شدته أن يتغلب على إرادة التعاون والعيش سوية.

- تشدد رؤية راولز السياسية على معاني التعاون والعيش سوية والفائدة المتبادلة والمساواة المواطنة الكوسموبوليتية.

- راهن راولز على جعل الفلسفة ملتصقة في قضاياها ودواعيها بما يطرحه راهن سياقها، مما يعني أن قيمة العمل النظري تتحدد بمدى قدرته على خدمة المجال العمومي العالمي، الذي يمثل الحاضر المركزي لكل مشاريع الحياة الخيرة.

- إن الحلم النظري لراولز لا يدعي سلطة على الناس، ولا يقيم مشاريعه على نبوءات تتجاوز أفقهم، أو على أساس مستقبل لا يستطيعون بملكاتهم المتواضعة أن يتبينوه إلا بالتسليم والإستسلام، وإنما هو حاول أن يؤسس لعدة نظرية قريهم ولأجلهم مفادها السعي إلى الحيلولة دون قيام العلاقات المدنية والإجتماعية والعالمية على أساس المغالبة كما أن مشروعه النظري لا يتجاوز أن يكون محاولة صياغة واضحة وهادئة لما يحصل داخل الفضاء الكوني.

- تبرز النظرة الكوسموبوليتية لجون راولز من خلال البحث عن جمع شمل الشعوب مهما كانت عقائدهم ونحلهم وتوجهاتهم، وتعد قاعدة التسامح التي يملها على الشعوب الليبرالية بمثابة السلاح السحري الذي يسعى من خلاله إلى توطيد أواصر التعاون بين الشعوب الليبرالية والشعوب غير الليبرالية.

- إذا كان من بين المفاهيم الراهنة في الحقل السياسي مفهوم صدام الحضارات فإن جون راولز سعى إلى إيجاد بديلا عنه من خلال تحديد السبب المباشر في الصراعات بين الشعوب والذي إختصره في الدين لذلك دعى إلى إرجاع كل القضايا الدينية وما يتعلق بها إلى الله وحده وما على البشر إلا قبول بعضهم البعض، وترك مسألة العقيدة للحرية الشخصية.

الهوامش :

*ولد جون راولز في مدينة بالتيمور سنة 1921م. اختار دراسة الفلسفة وحصل على درجة البكالوريوس من جامعة برينستون في عام 1943 م. ، و ناقش سنة 1950م أطروحته للدكتوراه بعنوان : "فحص عناصر المعرفة الأخلاقية: تيارات حول أخلاق الميزاج مع الإشارة إلى الحكم". تدرج بعدها في عدة مناصب تعليمية انتهت بتعيينه أستاذا بجامعة هارفارد في عام 1979 م . توفي في عام 2002 م. ومن أهم أعماله: كتاب نظرية العدالة، كتاب الليبرالية السياسية، و كتاب قانون الشعوب .

- ² john rawls justice et democratie trad catherine audard & al (parie seuil 1993) p241
- ³ محمد هاشمي: نظرية العدالة عند جون رولز نحو تعاقد اجتماعي مغاير دار توبوقال للنشر الدار البيضاء ط 1 2014 ص 7
- ⁴ جون رولز : نظرية العدالة كإنصاف بين السياسة والميتافيزيقا ص 103
- ⁵ محمد هاشمي: نظرية العدالة عند جون رولز نحو تعاقد اجتماعي مغاير ص8
- ⁶ المرجع نفسه ص7
- ⁷ جون رولز نظرية في العدالة ترجمة ليلي الطويل (دمشق منشورات وزارة الثقافة 2011) ص 29
- ⁸ المصدر نفسه ص 30
- ⁹ المصدر السابق، الصفحة نفسها
- ¹⁰ will kymlicka les theories de la justice une introduction trad Marc saint- upery (parie la decouverte 1999) p 65
- ¹¹ جون رولز نظرية في العدالة ص 30
- ¹² جهاد عودة النظام الأمريكي والإستراتيجي المأزوم (كنوز للنشر والتوزيع) ص 185
- ¹³ catherine audard utilitarisme et ethique publique le debat avec rawls p 50
- ¹⁴ أحمد واعظي نظريات العدالة : دراسة ونقد تر حيدر نجف (مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي سلسلة الدراسات الحضارية 2017) ص 63 .
- ¹⁵ أحمد واعظي نظريات العدالة : دراسة ونقد ص 64 .
- ¹⁶ محمد هاشمي: نظرية العدالة عند جون رولز نحو تعاقد اجتماعي مغاير ص 16
- ¹⁷ جون رولز : نظرية في العدالة ص 105
- ¹⁸ أحمد واعظي نظريات العدالة : دراسة ونقد ص 64
- ¹⁹ محمد عثمان محمود العدالة الاجتماعية الدستورية في الفكر الليبرالي السياسي المعاصر بحث في نموذج رولز (الدوحة المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ط 1 2014) ص 183 .
- ²⁰ ساندل، مايكل ج: الليبرالية وحدود العدالة. ترجمة محمد هناد (بيروت، المنظمة العربية للترجمة ، 2009) ص 21.
- ²¹ محمد عثمان محمود : العدالة الاجتماعية و الدستورية في الفكر الليبرالي السياسي المعاصر بحث في نموذج جون رولز ص 183 .
- ²² رولز جون: الليبرالية السياسية ص 10 - 11 عن موقع <https://shekmah.com>.
- ²³ رولز جون الليبرالية السياسية ص 10
- ²⁴ رولز جون الليبرالية السياسية ص 12
- ²⁵ PARIS DAVID C MORAL EDUCATION AND THE TIE THAT BINDS IN LIBERAL POLITICAL THEORY AMERICAN POLITICAL SCIENCE REVIEW VOL 85 NO 3 1991 PP 875 -901
- ²⁶ perry michael j neutral politics the review of politics vol 51 NO 4 (AUTUMN 1989) PP479 -509
- ²⁷ رولز، جون: العدالة كإنصاف. إعادة صياغة تر حيدر حاج اسماعيل مراجعة ربيع شلهوب (بيروت ، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2009) ص 145.
- ²⁸ رولز جون نظرية العدالة كإنصاف بين السياسة والميتافيزيقا ص 105
- ²⁹ catherine audard quest-ce que le libéralisme ? (parie gallimard 2009) p423
- ³⁰ رولز جون: نظرية العدالة كإنصاف بين السياسة والميتافيزيقا ص 105
- ³¹ المصدر السابق ص 104
- ³² المصدر نفسه، الصفحة نفسها .
- ³³ المصدر نفسه، الصفحة نفسها،
- ³⁴ المصدر نفسه، الصفحة نفسها
- ³⁵ رولز جون : العدالة كإنصاف ص 94 .
- ³⁶ المصدر نفسه، الصفحة نفسها
- ³⁷ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
- ³⁸ عادل ضاهر الليبرالية السياسية في فلسفة جون رولز مجلة الباب العدد 1 ص 24
- ³⁹ jean marc ferry justine la croix la pensée politique contemporaine p 36
- ⁴⁰ رولز جون، العدالة كإنصاف ص 94
- ⁴¹ عادل ضاهر: الليبرالية السياسية في فلسفة جون رولز مجلة الباب العدد 1
- ⁴² المرجع السابق
- ⁴³ رولز جون: العدالة كإنصاف ص 97
- ⁴⁴ المصدر السابق ص 99
- ⁴⁵ المصدر نفسه، الصفحة نفسها
- ⁴⁶ المصدر نفسه ص 112 - 113 .
- ⁴⁷ المصدر نفسه. ص 114.
- ⁴⁸ المصدر نفسه، الصفحة نفسها
- ⁴⁹ عادل ضاهر: الليبرالية السياسية في فلسفة جون رولز ضمن ألبان العدد رقم 1 ، 2014 م ، ص 25 .
- ⁵⁰ رولز، جون: العدالة كإنصاف. ص 372-373.

⁵¹ allen buchanan rawls .s law of people rules for a vanished westphalian world the journal of ethics vol 110 no 4 (july 2000 p 697 published by the university of chicago press) .

⁵² جون رولز قانون الشعوب محمد خليل (القاهرة، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2007) ص 47
⁵³ منير الكشو :العدالة الدولية في الفكر الأمريكي المعاصر جون رولز نموذجا ص 2 عن موقع https hekma.org

⁵⁴ رولز جون : قانون الشعوب ترجمة محمد خليل ص 47

⁵⁵ المصدر السابق ص 48

⁵⁶ المصدر نفسه ص 45

⁵⁷ المصدر نفسه، الصفحة نفسها

⁵⁸ المصدر نفسه ص 22

⁵⁹ منير الكشو :العدالة الدولية في الفكر الأمريكي المعاصر جون رولز نموذجا ص 6 – 7 – 8.

⁶⁰ Rawls ; lecons sur l histoire de la philosophie morale trad marc saint- upery et bertrand guillarme ;parie 2002 p 352 .

منير الكشو:العدالة الدولية في الفكر الأمريكي المعاصر ص 3

⁶¹

⁶² (2011) Rawls ; peut- on justifier hiroshima ?trad bertrand guillarme .esprit 2 (fevrier &ççè)

⁶³ منير الكشو: العدالة الدولية في الفكر الأمريكي المعاصر ص 3.

⁶⁴ المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

⁶⁵ تحسين حمه غريب: فيلسوف العدالة جون رولز نظرية في العدالة، (منشورات منتدى إقرأ الثقافي ، 2009) ص 176

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: قائمة المصادر باللغة العربية :

- رولز، جون : نظرية العدالة ترجمة ليلي الطويل (دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 2011)

- رولز، جون : نظرية العدالة بين السياسة والميتافيزيقا ترجمة احمد هاشمي

- رولز، جون : قانون الشعوب ترجمة محمد خليل (القاهرة، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2007)

- رولز، جون: العدالة كإنصاف.إعادة صياغة تر حيدر حاج اسماعيل مراجعة ربيع شلهوب (بيروت ،المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2009)

ثانيا :قائمة المصادر باللغة الأجنبية :

- Rawls john ; Lecons Sur L Histoire De La Philosophie Morale
 (Trad Marc Saint- Upery Et Bertrand Guillarme ;Parie 2002)

- Rawls john ; Peut- On Justifier Hiroshima ?Trad Bertrand Guillarme (Esprit 2Fevrier &Ççè).
- Rawls john justice et democratie trad catherine audard & al (parie seuil 1993)

ثالثا: قائمة المراجع باللغة العربية :

- أحمد واعظي نظريات العدالة : دراسة ونقد تر حيدر نجف (مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي سلسلة الدراسات الحضارية 2017 .)
- تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة جون رولز نظرية في العدالة، (منشورات منتدى إقرأ الثقافي ، 2009) .
- جهاد عودة النظام الأمريكي الاجتماعي والاستراتيجي المأزوم كنوز للنشر والتوزيع ط 1 2014
- ساندل، مايكل ج: الليبرالية وحدود العدالة
- عادل ضاهر: الليبرالية السياسية في فلسفة جون راولز ضمن ألباب العدد 1 رقم 1 ، 2014 م
- محمد عثمان محمود: العدالة الاجتماعية الدستورية في الفكر الليبرالي السياسي المعاصر بحث في نموذج رولز (الدوحة ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،ط1، 2014) .
- محمد هاشمي: نظرية العدالة عند جون راولز نحو تعاقد اجتماعي مغاير (الدار البيضاء، دار توبوقال للنشر، ط 1 ، 2014) .
- منير الكشو :العدالة الدولية في الفكر الأمريكي المعاصر جون رولز نموذجا

رابعا: قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

- Allen buchanan rawls .s law of people rules for a vanished westphalian world the journal of ethics vol 110 no 4 (july 2000 p 697 published by the university of chicago press) .
- Catherine audard utilitarisme et ethique publique le debat avec rawls
- Catherine audard quest-ce que le libéralisme ? (parie gallimard 2009)
- Jean marc ferry justine la croix la pensée politique contemporaine.

- PARIS DAVID C MORAL EDUCATIONAND THE TIE THAT BINDS IN LIBERAL POLITICAL THEORY AMERICAN POLITICAL SCIENCE REVIEW VOL 85 NO 3 1991
- Perry michael j neutral politics the review of politics vol 51 NO 4 (AUTUMN 1989)
- will kymlicka les theories de la justice une introduction .